الالعاب الاولمبية

والرياضة البدنية عند القدماء

في الصيف المقبل تقام الالعاب الاولمبية في امستردام عاصمة هولاندة وتشترك فيها اكثر امم الارض . وقد اخذت الفرق المصرية تعد عدتها لذلك . وفي السنة القادمة تقام الالعاب الافريقية في ملعب الاسكندرية الجديد وتشتمل على ابواب الرياضة البدنية كالجري والقفز وعلى انواع الجهاز وعلى المبارزة والمصارعة والملاكمة وعلى الالعاب البحرية كالسباحة وما اليها وعلى التنس وكرة القدم . فرأينا ان ننشر في المقتطف بضعة فصول في هذا الموضوع من الوجه التاريخي وعمدنا في ذلك الى المؤرخ المشهور الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف فبعث الينا بمقاله الاول الذي ننشره فيما يلي :

١

ما هي الالعاب الاولمبية ؟

ان الالعاب الاولمبية Olympiques منسوبة الى مدينة اولمبية حيث كانت تقام. وهذه المدينة هي اليس او اليذة التي شيّد فيها هيكل عظيم لزفس اي المشتري ابي الآلهة ووثيها فسمي زفس الاولمبي. والمدينة مع بعدها عن جبل اولمبوس بعداً شاسعاً نسبت اليه لاشتهارها به . وسنة ١٩٠٣ كشفت اطلال هذا الهيكل مع آثار جميلة نقلت الى متحف (اثينة)

وموقع جبل اولمبس هو في الروم ايلي على حدود تسالية ومكدونية اليونانية وشمالها وهو اعلى جبال العالم في زعمهم واعلى جبال اليونان واشرفها في نظرهم اذ هو مسكن آلهتهم ولاسيما زعيمها زفس. ويسمى جبل الاولمب الآن جبل لاكا او لاشا وعلوّهُ (٩٧٠٠) قدم . وسمي (مجلس شورى الآلهة) لانهم يسكنون فيه ويعتقدون مجالسهم وحولهُ وادي الاولمب غربي بلاد البورة

وبمقاطعة (اليذة) هذه على الشاطئ الشمالي الشرقي من بلاد البرتان وهي اخصب موضع في البلوبونيسة وكانت ارضها تحسب مقدّسة حرّم انتهاب حربها وخصصت بالالعاب الاولمبية التي اقيمت في حرش البطن اكراماً لزفس وكانت تقام كل اربع سنين حتى قال شيشرون الخطيب الروماني : « وكان الفوز بالالعاب الاولمبية اعظم ما ينال

الروماني من شرف الانتصار ولا تستطيع مطامع الانسان أن تتجاوز الى مافوق ذلك»

والالعاب الاولمبية من حقوق الايليين وقد نازعهم اهل بيسى شرفها فأدّى ذلك الى حرب ضروس اكتسحت فيها بيسى ودُمرت خلا الجو للايليين واستقلوا بهذا الحق بدون معارض فكانوا ينظمون حرس الالعاب من رجالهم ويتخيرون قضاة لهم من اشهر وطنييهم . فكان عدد قضاتهم اولاً ثلاثة ثم صار اثني عشر واستقر على عشرة

وسميت هذه الالعاب ايضاً الجمنستيك من كلة يونانية جمناسيون Gymnasiun بمعنى المجرَّد او العريان . وقال اللاتينيون: جمناسيوم وقد استعملوها للمتروضين لانهم يكونون عراة تخففاً وتسهيلاً للحركات كما سيجيء . واستعملت هذه الكلمة اليوم في اوربة ولاسيما في جرمانية اسماً للمدارس العليا لكثرة العابها الرياضية. اما الانكليز والاميركان فيريدون بها المراض (المرَاض او المترَوَّض) اي مكان الرياضة . وهو باليونانية جناس Gymnas اي مدرسة التروُّض ونسبوا اليها فقالوا جمنستيك Gymnastic اي علم الرياضة او علم تمرين اعضاء الجسد بالحركات والالعاب . وعرَّبها العرب (الرياضة او الرياضة البدنية)

واصل استعمالها للعري والتجريد كان من الاولمبياذة الثانية والثلاثين لانهُ حدث ان ارخيوس المصارع المشهور فشل فيها لان لباسهُ انحلَّ في اشتداد مصارعته فشقَّ الحركة ومكّن زميلهُ من الاستظهار عليه . فسنوا لذلك نظام التعرّي عند التروُّض ومنعوا النساء من شهود الحفلات منذ ذلك العهد . ومن خالف قُتل

وكان اليونانيون يفضلون الرياضة الطبيعية فخصوا الجمناسيوم بوقت يتفق مقدار الوقت لباقي العلوم. ويتخذونها عندما يتممون العلوم العقلية وعمَّ استعمالها في جميع بلادهم. وكان في اثينة ثلاثة اماكن لها (١) الاكاذيمية التي اشتهرت بتدريس افلاطون. وهي منسوبة الى مالك ذلك الملعب اكاذيموس وهي التي عرفت باسم (الجمع العلمي) عندنا (٢) الليسيوم التي خصت بتعاليم ارسطو (٣) الكينوسرغس التي وضع سولون الشترع نظامات لها. فكان لرئيس الجمناسيوم الحق في ان يعزل من شاء من المدوسين او الفلاسفة او السفسطائيين الذين كان يخاف على الشبان منهم . وكان على معلم الجمناسيوم ان يعرف تأثيرات الرياضة المختلفة في المتروّضين بحسب علم منافع الاعضاء (الفسيولوجية) وان يخص كل تلميذ بما يناسبهُ منها وكان هذا الفن مخصصاً بجماعة ايأسون إله الاطباء لتعلقه بالصحة والمرض. اما العرب والاوريون والاميركيون فلهم انظمة اخرى مشهورة ستأتي

وشيدت ملاعب كثيرة لهذه الالعاب ومنذ سنوات اكتشف ايفان الالماني ملعب افريطش (كريت) وهو اكبر الملاعب الشرقية يسع عشرين الف نفس وعرضهُ مائة واربعون متراً

وكان عند الرومان الكولوسيوم Colosaium الذي انشأهُ الامبراطور فسبيانوس وهو ملعب روما المشهور الذي جرت فيه الالعاب وسباق الحيوانات الضواري كالاسود والنمور والفهود والضباع وغيرها من الحيوانات الاخرى كالفيلة والخيل . كما كانت تجري فيه المصارعة وغيرها من هذه الفنون

وكان فيها ملعب مدرَّج (امفيتيار) Amphytiatre يسع سبعين الف متفرج حول ميدان فسيح للصيد والصراع الوحشي والصراع الانساني والوحشي حتى كانت الوحوش تفترس المصارعين من الناس ولاسيما المحكوم عليهم بالقتل او المسيحيين الذين ناصبوا الوثنية العداء . ولقد قتل هيرودس اغريبا الاول حفيد هيرودس الكبير في ملعب بيروت الفاً واربعمائة من الجناة دفعة واحدة اذ قسمهم قسمين فتقاتلا وتفانيا

وكثيراً ما كان يقتل ثلاثمائة وعشرون زوجاً من المتصارعين مرة واحدة . وقتل اوغسطس قيصر عشرة آلاف رجل بالالعاب التي شهدها سحابة عمره في ملكه . وقتل تراجانوس الامبراطور مثل ذلك في اربعة اشهر فقط . وكان المطلوب من المتصارعين يذبح ذبحاً

وكان في مدينة دمشق ملعب قديم على شكل مدرَّج قطر دائرته نحو خمس واربعين ذراعاً كانت تقام فيه الاحتفالات والمصارعات في عهد الرومانيين وهو في محلة (تل المماكة) المتصل (بتل التجار) الى الجنوب والشرق على مقربة من (مأذنة الشحم) وكان يحسن موقعه يشرف على اهم مواقع المدينة ولاسيما على هيكل جيبتر امرأة المشتري حيث الآن الجامع الاموي الكبير وقد اكتشف آثاره صديقي الاثري السير جيمس ادورد هانوَر مرسل الكنيسة الاسقفية الانجيلية في دمشق وذلك منذ بضع عشرة سنة . ونوجد آثار ملاعب كثيرة في بلادنا مثل البترون وبيروت على ساحل البحر وعمان في الداخلية وقد جرت فيها الالعاب ومبارزات وحفلات وسباقات للخيل ونحو ذلك

٢

كيف نشأت هذه الالعاب ؟

اعتاد قدماء المصريين وغيرهم من الامم القديمة اقامة اعياد وحفلات في اثناء السنة وفي مبدإ الفصول والشهور وفي الحوادث الخطيرة النادرة وفي مواسم الآلهة ونحو ذلك من الشؤون تبركاً باكتساب رضا الآلهة وتيمناً بسعودها . وتوقعاً للخير والسعادة في ظلها . وكانت حفلاتهم تتم بانواع من الرقص على الغنا او عزف الموسيقى ونحو ذلك . وتمادوا فيها حتى حوّلوها الى شبه العاب ورياضات فحركوا اجسامهم ومرنوا اعضاءهم وقوّوا عضلاتهم فتولد من ذلك الرقص والمبارزة والمصارعة والسباق والملاكمة والصيد والقتال وغيرها من الحركات جاماً للخاطر وترويحاً للنفس . وكانت هذه التروّحات اولاً دينية أسست على مبادىء وطنية صرفة وعصبيات جنسية ووحدات قومية . وتناولها من جاء بعدهم ولاسيما اليونانيون الذين كانت اسلافهم البلاسيجيون (اي الغرباء) سكان بلادهم القدماء يحتفلون بها وكانت اشبه باجتماعات الاسرائيليين في زمن موسى الكليم والمصريين في عهد الفراعنة . والعرب في الكعبة قبل الاسلام

ولقد كانت اعتقادات اليونانيين بالآلهة وعباداتهم المتنوعة مبنيةً على اوهام وتخرصات فحسبوا ان الارض سطحة مستديرة الشكل كالترس وحولها البحر المحيط (الاوقيانوس) وهناك اقاليم الظلمة . وان السموات قبة صلدة تمس اطرافها الارض والهاوية تحت الارض وهي مقر قوس المزن تتصل الى الارض بنفق عظيم وتحت الهاوية سجن (طرطروس) وهو حفرة قاتمة منيعة الرتاج

وزعموا ان الشمس الذهبي سيارته عن القوس وهو ممتطٍ مركبة ذهبية يتجدر بها ويصعد . واعتقدوا بعد هذا كله ان اقليم السعادة والهناء في طرفي المغرب والمشرق حيث ترشقها الشمس باشعتها وان في الاقليم الغربي جزائر السعادة ومقرّ ارواح الابطال والشعراء

وثبت لهم ان اعظم آلهتهم في جبل الاولمب يأكلون طعام الآلهة ويشربون شرابها فصار الجبل عندهم كالسماء عند ارباب الكتب الدينية المنزلة . وكان لهم في ذلك الجبل هيكل عظيم . وكان يرأس هذا الهيكل مجلس مؤلف من اثني عشر عضواً من الآلهة ستة ذكور وستة اناث (فالذكور هم): زفس او المشتري وهو عندهم أبو الآلهة والناس .

ونبتون او بوسيدون حاكم البحر . وابثون او فيبس اله النور والموسيقى والنبوءة . وآرس اله الحرب . وهيفستس اله النار المشوّه وصانع صواعق زفس . وهرمس الجنح القدمين رسول سكان السماء اله الاختراع والتجارة (والاناث هنّ) : هيرا ملكة زفس شديدة الغيرة والكبرياء . واثينة او بلاس التي نشأت كاملة التوّ من جبهة زفس وهي إلهة الحكمة وحامية الصناعات الالهية ويسمونها ميزفه ايضاً . وارطاميس الهة الصيد . وافروديتي او الزهرة الهة الحب والجمال المولودة من زبد البحر . وهستيا الهة المواقد . وديمتره ام الارض الهة الحبوب والحصاد . الى كثيرين وكثيرات من الآلهة والآلاهات (١)

وكانت هذه الآلهة بشراً مكرّمين فاقوا البشر بقوة الاجساد اكثر من ضخامتها وكانت مساكنهم جبل اولمبوس وطبقات الهواء فوق الارض فكانوا ينزلون الى الارض ويمتزجون بالبشر ثم اعرضوا عن ذلك وصاروا يخاطبون الناس بواسطة الوحي في المواحي (الهياكل)

وكان هيكل دلفي اعظمها في (فوسيس) وكانوا يزعمون ان البخار المخدّر الذي يصعد من شقّ عظيم عميق في الصخور هو نفس ابلون الموحي بواسطة الكاهنة التي تجلس فوق متفس البخار على كرسي مثلث القوائم كالاثفية . وحينما يغلبها البخار تبلغ رسالة الاله والكهنة يدوّنون وحيها ويفسرونهُ وينظمونهُ شعراً يتغنّى به . فمنهُ ما يكون حكماً ونصائح . ومنهُ ما يتضمن التنبؤ بالمستقبل الذي ولع به القدماء

فكلف اليونان بالوحي وكان موحى (هيكل) زفس في مدينة (دودونا) في مقاطعة ابيروس اشهر هيكل . وكان الكهنة يستوحون الاله ويصغون الى كلامه في حفيف اوراق شجرة البلوط المقدسة وقد بقي شجر البلوط يحافظ عليه قرب الهياكل والمعابد والكنائس الى يومنا ولا يتم لذلك تعليل غير هذا التعليل ولعلهُ كافٍ اذا لم يكن لهُ سبب آخر

وكانت بلاد اليونان في القرن السابع قبل الميلاد كثيرة المدن . وكل مدينة منها مستأثرة باحكامها اشبه بامارة مستقلة تعلن الحرب والسلم وتعقد المعاهدات وكان سكان كل مدينة يعتبرون اجانب عند الاخرى . ولكل منهم مدينة مسوّرة (ذات سور)

(١) راجع في الجزء الثامن المتاز من مجلتنا (الآثار) لسانها الرابعة الماضية مقالة في آلهة اليونان وصورها ورموزها

منيعة الجوانب يلجأ اليها اهل القرى عند الكبات والحروب . وكانت كل مدينة او قرية مؤلفة من عشائر وعمائر وقبائل وبطون واتخاذ ربطها راس عبدوه معتقدين انه جدهم الاصلي وهو كالهٍ حارس لهم

فهذه العشائر تمتعت اولاً بالحقوق المدنية واشتهر اليوناني بحبه لموطنه وتفانيه في الدفاع عنه . فكان كل قبيل منهم يحب مدينته حبًّا صحيحاً فيموت في حماية ذمارها . فلهذا لم يكن التمدن اليوناني الا زهرة اشجار هي حب الوطن وثمارهُ التاضحة. بل من اعتقاداتهم ان لآلهتهم عواطف حساسة كالبشر فسُنوا باسترضائهم بتقديم الهدايا لهم وتشييد المواحي (الهياكل) المنيعة الشاهقة وتقريب الضحايا البشرية والحيوانية والاحتفال باعيادهم وتذكاراتهم تلذذاً وتمتاً برضاهم

فنزع اليونانيون بتلك الاسباب الى توطيد علاقات المودة بينهم لسدم رغبتهم بجمع قبائلهم في مدينة واحدة يرتبطون بها ارتباطاً وثيق العرى . فاستعاضوا عن ذلك بعقد اشتراك مذهبي مؤلف من اثني عشرة قبيلة كانت كل منها تنتمي الى اله من الآلهة الاثني عشر ذكوراً واناثاً

فكانت كل قبيلة ترسل الى هيكل دلفي نواباً في ايام الربيع والى ثرموبيلية في ايام الخريف لانهم كانوا يجرون في هذين المحلين بعض احتفالات دينية

وكان المجمع الامفقطيوني Amphictyonic المسمى بمحالفة الجيران او المجلس النيابي عن هذه القبائل يتولى الحكم وتوزيع الجوائز على الظافرين مثل تمثال او قبر لمن يستحقهُ بوطنيته وخدماته كما انهُ يتولى قصاص المجرمين والمخالفين حتى بالقتل ممن يخونون وطنهم . فعاقب الفوقيين لتعديهم على المذهب الجنسي كما عاقب ايضا لتس لارشادهِ جيش الفرس الى طريق ثرموبيلية في الموقعة المشهورة

وبواسطة هذا المجمع وهذه المقاصد اقاموا الالعاب المقدسة تكريماً لآلهتهم . فكان اساس هذه الالعاب العجائب التي تظهرها الآلهة معجزات . ولاسيما الضحايا امام هيكل زفس التي كانوا يقربونها ويستطلعون منها نيات الآلهة نحوهم . ويستجلبون رضاها عنهم . كما يستطرون غضبها عليهم . اما من الجهة التي يسير فيها لسان اللهيب عند احراق الضحية . واما من الشقوق التي تظهر في جلود الضحايا عند تقديمها واشتالها . ونحو ذلك من الاستدلالات والتخرصات التي الفوها وبنوا عليها اوهامهم الكثيرة ثم انتقلوا من هذا الطور الى اتخاذ الكهنة واسطة بينهم وبين الآلهة والانقياد

الى مشورتهم . ثم احتفلوا بتكريمهم بالالعاب التي كانوا يجرونها في هياكلهم وحولها وربما كانوا يتغنون به من الاناشيد التي يكرّم بها ابلون قولهم : « ان الايونيين يسرونك بما يجرونهُ من القتال والغناء والرقص »

وكان تعليم اليونان القديم يشتمل على ثلاثة اشياء :

(أولها) الغراماطيق اي اصول الصرف والنحو من العلوم اللسانية

و(ثانيها) الموسيقى باداتها المعلومة

و(ثالثها) التروّض البدني بشروطه

واضاف اليها الفيلسوف ارسطوطاليس فن (الرسم والتصوير) ولكنّ اشهرها عندهم واعمها وانفعها (في إعداد العقول لتلقن العلوم وتفوقها فيها على غيرها) كان التروّض فوضع لهُ صولون المشترع نظاماً خاصًّا وخصهُ بالاله ابلون معبود الاطباء كما سبقت الاشارة اليه

وكانت منزلة الابطال عندهم بعد منزلة الآلهة ولهم اقاصيص غريبة مشهورة منها قول ثيموستوكليس : « وما قهرنا الفرس باستظهارنا عليهم ولكن الارباب والابطال هم الذين غلبوهم »

ولكي يتحققوا منافع التروّض استشاروا لهُ اله دلفي اي زفس فقال : ان به السلام للبلاد . فعم الاشتراك به جميع الهيلانيين من سواحل اسيا الصغرى الى سواحل افريقية الكبرى . وقال احد كهنة ابلون يخاطبهُ : « نحييكَ لك يثيران تحية منذ عهد بعيد . فاقبل الآن تضرعاتي واصمم اعدائي بسهام غضبك المنقضة »

وكانت لهذه الالعاب المنزلة العظيمة عندهم ففصّلها مؤرخوهم وعنى بوصفها هوميروس في الياذته، ومن راجع النشيد الثالث والعشرين من معرّبها وقف على كثير من انواع الرياضة والالعاب كما سيأتي

***

ونرجئ الكلام في (تاريخ الالعاب الاولمبية) و (حفلاتها) و (انواعها) الى الاجزاء الآتية . مما يتم به الكلام عنها عند القدماء

زحلة (لبنان) عيسى اسكندر المعلوف
صاحب مجلة الآثار ومؤلف تاريخ
الامم الشرقية العام